الفصل الثاني

الصيغ الفعلية مع أدوات النفي والاستفهام

* الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع أدوات النفي.
* الدلالة على الاستقبال.
* الدلالة على الماضي.
* الدلالة على الحاضر.
* الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع أدوات الاستفهام.
* الدلالة على الحاضر.
* الدلالة على الاستقبال.
* الدلالة على الماضي.
* الدلالة على الزمن العام.

obeikandl.com

/فعل/ و /يفعل/ مع أدوات النفي والاستفهام

رأينا أن الدلالة الغالبة مع أدوات الشرط في تواتر الصيغ الفعلية هي زمن الاستقبال. وسنرى في هذا الفصل أن الدلالة الزمنية لأدوات النفي والاستفهام الذي ترد فيه الجملة المنفية، أو الاستفهامية ثانيا، فنجد مثلا /لم/ الا تدخل إلا على المضارع ولا تفيد وضعا إلا الماضي، ونجد أن /لن/ لا تدخل آلا على المضارع ولا تفيد إلا الاستقبال. وهناك أدوات نافية تفشد الحال والاستقبال معا مثل /ما/ ولا/ وغيرهما وقد أشار سيبويه الى هذه الدلالة الزمنية المتعددة لأدولت النفي عندما قال : «إذا قال فعل فإن نفيه /لم يفعل/ إذا قال قد فعل فإن نفيه لما فعل، وإذا قال لقد فعل فان نفيه ما فعل" كأنه قال والله لقد فعل، فقال والله ما فعل،وإذا هو يفعل لم يكن الفعل واقعا فنفيه لا يفعل واذا قال ليفعلن فنفيه لا يفعل كأنه قال والله ليفعلن فقلت والله لا يفعل واذا قال سوف يفعل، فان نفيه لن يفعل»(1) كما نجد في باب الاستفهام ان همزة الاستفهام تفيد ذاتيا الماضي تارة والمضارع تارة اخرى. تلك ملاحظات استقيناها ونحن ندرس هذه الادوات في القرآن الكريم مستفيدين مما قاله المفسرون واللغويون في هذا الباب.

وسنحاول ههنا ان ندرس الجوانب الزمنية لكل اداة بالقدر الذي يقتضيه تلون معانيها الزمنية ومقدار ورودها في القرآن الكريم.

اولا : ادوات النفي

1 - لـم :

لقد اتفق النحاة على أنها حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضيا(2)، لقد قال ابن فارس في الصاحبي : «/لم/ تنفي الفعل المستقبل وتنقل معناه الى

1 - الكتاب لسيبويه 117/3.
2 - الاتقان 172/1.

الماضي»(1) وقال المرادي وهو يعلق على تعريف سيبويه لـ /لم/ «وظاهر مذهب سيبويه أنها تدخل على مضارع اللفظ فتصرف معناه الى المضي»(2) وفي القرآن الكريم نجد أن أغلب الأفعال المضارعة المسبوقة بـ /لم/ جاءت للدلالة على نفي الماضي من ذلك قوله تعالى : «ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما»(النساء164/4).

وقد جاءت هذه الآية في سياق سردي هو قوله تعالى في الآية السابقة(163).

«إنّا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيئين من بعده وأوحينا الى ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط رعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا» و (وقد جاءت /لم/ في قوله تعالى : «لم نقصصهم عليك/ دالة على نفي الماضي المتصل بزمن الاخبار ودلالة /لم/ في الماضي تنسجم مع قوله /من قبل/ قال الرازي وهو يشرح الاية «والمعنى أنه تعالى إنما ذكر بعض الانبياء في القرآن والأكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل(3).

وهو شرح يبين أن عدم القص حصل في الزمن الماضي. ومن ذلك قوله تعالى: «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما»(طه115/39).

فـ /لم/ نجد/ في الآية للماضي ودليلنا في ذلك هو قوله تعالى : (من قبل) ويذكر اسم آدم الذي يصرف الكلام الى الماضي البعيد وقد جاءت في سياق يدل على سرد أحداث الأولين وذلك في قوله تعالى : «كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا»(الآية99)، قال أبوحيـــان وهو

---

1 - الصاحبي لابن فارس 164.
2 - الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 267.
3- التفسير الكبير للامام الرازي 109/11.

يقدر المضاف اليه في قوله تعالى /من قبل/ «والظاهر أن المضاف اليه المحذوف بعد قوله /من قبل/ تقديره من قبل هؤلاء الذين صرف لهم من الوعيد لعلهم يتقون وهم الناقضو عهد الله والتاركرو الايمان»(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها /لم يفعل/ للدلالة على الزمن الماضي قوله تعالى : «انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه»(البقرة259/2).

ومنها قوله تعالى : «يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك»(مريم/43 19).

قوله تعالى : «قال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين»(النمل/22 27).

وقد تدخل همزة الاستفهام على /لم/ مع الفعل المضارع وتقلب معنى النفي في /لم/ الى الاثبات ويبقى زمن الفعل على ما هو عليه من المضي وذلك في قوله تعالى : «ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا»(طه86/20)

وقوله عز وجل : «ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين»(الاعراف22/7).

وقوله تعالى : «أو لم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده»(العنكبوت19/20) وذلك لأن الاستفهام قد يتحول الى معنى الإنكار، والإنكار نوع من النفي فكأن الهمزة أفادت نفي النفي الذي في /لم/ ونفي النفي إثبات، أي أنّ الهمزة مع أداة الاستفهام أفادت التقرير(2).

1 - البحر المحيط لأبي حيان 282/6-283.
2 - مغني اللبيب 17/1.

لم يفعل والدلالة على الاستقبال

وجدنا مع اللغويين المحدثين(1) أنّ زمن المضارع لا ينقلب الى الماضي مع /لم/ في بعض الايات بل يدل على المستقبل البعيد. من ذلك قوله تعالى : «ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطعمون»(الاعراف/46 .(7

اذ ليس يخفى أنّ /لم يدخلوها/ في الاية خالصة للاستقبال فقد جاءت في سياق استقبالي هو عرض مشاهد من الدار الاخرة. وقد جاءت الاية بعد قوله تعالى : «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مأذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون»(الاعراف7/44-45).

وقد شرح المفسرون /نادى/ و /قال/ الواردتان في الاية بـ /ينادى/ و /يقول/ يوم القيامة»(2).

ومن الايات التي جاءت فيها /لم يفعل/ دالة على الاستقبال قوله تعالى : «ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة فحشرناهم فلم نغادر منهم أحد»(الكهف18/47).

حيث نجد أن /لم نغادر/ في الآية جاءت للدلالة على الاستقبال. لأن المراد باليوم في قوله تعالى /ويوم نسير الجبال/ يوم القيامة والدليل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الاية : «وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا»(الكهف48).

1- نفسه 203/2 وأساليب النفي في القرآن 107.
2- الكشاف 78/2 وما بعدها وانظر التفسير الكبير للرازي 83/14 وما بعدها.
3 - البحر المحيط لأبي حيان 134/6.

قال أبو حيان في شرح (عرضوا على ربك صفا) «وقيل وحشرناهم، وعرضوا، ووضع الكتاب، مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه أي أنّ /عرضوا/ و /حشرناهم/ و /لم نغادر/ جاءت بلفظ الماضي للدلالة على أن يوم العرض واقع لا محالة فجاءت الأفعال الدالة على الماضي تصور الاحداث وكأنهما وقعت فعلا.

ومن الآيات التي جاءت فيها /لم يفعل/ دالة على الاستقبال قوله تعالى : «ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا»(الكهف52/18).

ومنه قوله تعالى : «فيهن قاصرات الطرف لم يطمثن انس قبلهم ولا جن»(الرحمان56/55) وقد رفض الاستاذ محمد عضيمة أن تأتي /لم يفعل/ للدلالة على المستقبل لأنها وضعت لقلب المضارع الى المضي ويرى أن الايسر من ذلك التحول : إن حروف النفي يقوم بعضها مقام بعض فتتبادل مواقعها(1).

ولنا رأي آخر مؤداه أن الأكثر يسرا من ذلك أن نقول : إن السياق القرآني هو الذي يقلب المعاني الزمنية للتراكيب كيفما كانت دلالتها الزمنية الذاتية فنجد مثلا أن حروف الشرط وضعت لصرف الفعل الماضي الى الاستقبال ولكنها كثيرا ما جاءت في سياق دال على الماضي. ولذلك لاغرابة في أن تأتي /لم يفعل/ دالة علي الاستقبال.

وقد انصرف التركيب /لم يفعل/ الى الاستقبال عندما جاء مسبوقا بأداة شرط وذلك في نحو قوله : «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي أعدت للكافرين»(البقرة24/2) وانما انصرف الى الاستقبال لأنه جاء في سياق يدل على ذلك وذلك في قوله تعالى في الآية السابقة : «فإن كنتم في ريب مما

1 - انظر الكشاف 148/1.

أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين»(البقرة23/2).

ومعنى فان لم تفعلوا لن تفعلوا «فان لم تأتوا بسورة من مثله»(1) إذ إن كلتا الأداتين تفيد المستقبل في الآية ولن جاءت لتأكيد النفي فقط ولا محل لها من الاعراب(2).

ومن الآيات التي جاءت فيها /لم يفعل/ دالة على الاستقبال بفضل أداة الشرط التي تسبقه قوله تعالى : «فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم»(النور28/24).

وقوله عز وجل : «فإن لم يستجيبوا لكم فاعملوا أنّما أنزل بعلم الله»(هود14/11).

ومنه كذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»(البقرة279/2)

وقوله عز وجل : «فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين»(الانعام76/6)

ولكن /إن الشرطية أفادت أيضا الزمن العام مع /لم يفعل/ وذلك في نحو قوله تعالى : «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل»(البقرة165/2).

---

1 - انظر الكشاف 148/1.

2 - نفسه، وانظر التفسير الكبير للرازي 121/2.

كما دلت /إذا الشرطية/ على الماضي مع لم يفعل(1) وذلك نحو قوله تعالى : «واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها»(الاعراف203/7).

لما + يفعل

يتفق النحاة على أنها تختص بالمضارع فتجزمه وتقلبه ماضيا ك/لم/ إلاّ أنها تختلف عن /لم/ في أن نفيها يستمر الى الحال، أو قريب منه ويتوقع ثبوته.

وقد فصل النحاة الفروق التي بين /لم/ و /لما/ من حيث دلالتهما ووظيفتهما ونكتفي بالاحالة على بعض المراجع لمن أراد المزيد من البحث في الوضوع.(2)

وقد لازمت /لما/ في القرآن هذا المعنى الزمني (نفي الفعل القريب من الحال والمتوقع ثبوته) ولم تفارقه وهذا بااتفاق المفسرين. ومن بين الايات التي جا ءت فيها /لما/ جازمة للفعل المضارع دالة على التوقع قوله تعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين»(آل عمران243).

فقد أجمع المفسرون على أن /لما يعلم/ في الاية من قبيل الأفعال المتوقع حدوثها والتي لم تقع في وقت قريب من الحال.

يقول الزمخشري : «و/لما يعلم الله/ بمعنى ولما تجاهدوا لأنّ العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقة.... و/لما/بمعنى /لم/ لأن فيها ضربا من التوقع قدل علي نفي الجهـــاد فيما مضى وعـــلى توقعـــه فيمـــا

1 - انظر التفسير الكبير للرازي 101/15 وفيه ما يوحي بأن /لم تأتهم/ في الآية تنصرف الى الماضي.

2 - راجع الجني الداني 268 وما بعدها، والمغني 278/1 والصاحبي 164، والاتقان 172/1.

يستقبل»(1). ويرى أبوحيان أن رأي الزمخشري المتقدم يكاد يكون رأيا منفردا لأنه لم يجد أحد من النحاة يقول بذلك «بل قالوا إنك إذا قلت /لما يخرج زيد/ دال ذلك على انتقاء الخروج فيما مضى متصلا نفيه الى وقت الإخبار، أما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا، لكني وجدت في كلام الفراء شيئا يقارب ما قاله الزمخشري»(2).

ومؤدى كلام المفسرين أن /لما يعلم/ جاءت لتفيد استمرار نفي الفعل في الماضي الى الوقت الحاضر لأن معنى الآية «لاتحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم يقع منكم الجهاد»(3)، وانما تفيد /لما/ مع الفعل التوقع لما تضفيه على الفعل من معاني الاتصال وسريان الحدث الى ما بعد الحاضر تقول مثلا : /لما يصل القطار/ ووصوله متوقع) كما تقول /لما يظهر الهلال/ وظهوره متوقع كذلك».

ومنه قوله تعالى : «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم»(الحجرات14/49).

فقوله تعالى /لم تؤمنوا/ دليل على أن معنى /لما يدخل الايمان/ مغاير لمعنى /لم/ الجازمة في التركيب الأول وهذا المعنى المغاير هو التوقع مع استمرار معنى النفي الى وقت التكلم.

قال الزمخشري وهو يبين زمن /لما يدخل/ «وقوله/ لما يدخل الايمان في قلوبكم/ توقيت لما امروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم، ولكن قوله أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في /قولا/ وما في /لما/ من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما

1 - الكشاف للزمخشري 466/91.
2 - البحر المحيط لأبي حيان 66/3.
3 - التفسير الكبير للرازي 19/9.

وبعد »(1).

ولقد وجه أبوحيان هذا التركيب توجيها يراد منه استمرار انتقاء الايمان من الماضي الى زمن الإخبار دون الايحاء بالتوقع قال : «ولكن قولوا أسلمنا فهو اللفظ الصدق من أقولكم وهو الاستسلام والانقياد ظاهرا ولم يولي أفواهم ما في قلوبكم وجاء النفي بـ/لما/ الدالة على انتقاء الشيء الى زمن الإخبار وتبين أنّ قوله لم تؤمنوا لا يراد به انتقاء الايمان في الزمن الماضي بل متصلا بزمن الاخبار »(2)

وقد بينا أنّ /لما/ تفيد نفي الحدث في الماضي مستمرا الى زمن الاخبار وتضفي بالاضافة الى ذلك معنى توقع الحدث وقرب وقوعه أو انتضار حدوثه خلافا لـ/لم/ التي تفيد مجرد نفي الحدث في الزمن الماضي فعندما تقول : /لما ينضج الثمر/ فإنك تنفي انتضار نضجه. وعندما يقول الطالب /لما أدرس هذا الموضوع/فانّ معنى ذلك أنه سيدرسه في الأيام المقبلة وعندما يقول الطالب/لم أنجح في الامتحان هذه السنة/ فانه ينفي نجاحه في الزمن الماضي وكفى فلا انتظار ولا توقع مع هذا القبيل من النفي ويفضل هذا الفهم الدلالي لـ/لما/ ندرك معنى التوقع الذي دل على أنّ الاعراب قد امنوا فيما بعد على نحو ما ذهب اليه الزمخشري.

ومن الايات التي جاءت فيها /لما/ الجازمة دالة على التوقع قوله تعالى : «أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب »(ص8/38).

وقوله عز وجل : «وهو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخريـــن

1 – الكشاف 570/4.
2 – البحر المحيط 117/8.

منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم»(الجمعة3/62).

ومنه قوله تعالى : «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله»(يونس39/10).

لـن + يفعل

يعرف النحاة /لن/ بأنها حرف ينصب الفعل المضارع ويكون جواب المثبت أمرا في الاستقبال. يقول : "سيقوم زيد" فتقول أنت : /لن يقوم/، وحكوا عن الخليل أنّ معناها /لا أنَ/ بمعنى ما هذا وقت أن يكون كذا. وقد جعلها الزمخشري لتأبيد النفي في المستقبل حتى اقترنت باسمه فقيل /لم الزمخشرية/ قال المرادي : «ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبدا خلافا للزمخشري»(1). قال ابن عصفور : «وما ذهب اليه دعوى لا دليل عليها، بل قد يكون النفي بـ/لا/ آكد من النفي بـ /لن/ لأنّ المنفي بـ /لا/قد يكون جوابا للقسم، والنفي بـ/لن/ لا يكون جوابا له. ونفي الفعل إذا أقسم عليه آكد.(2)

وقال في المغني : «قيل : لو كانت للتأبيد لم يتقيد منفيها باليوم في (فلن أكلم اليوم انسيا)(مريم26/19) ولكان ذكر الأبد في (ولن يتمنوه أبدا)(البقرة95/2) تكرارا والاصل عدمه)(3). أي أنّ /لن/ لاتفيد معنى النفي في تأبيد المستقبل والا لما ذكر /اليوم/ و /أبدا/ بعدها في الآيتين وسنرى أنّ /لن/ في القرآن تفيد النفي في المستقبل، وتفيد تأبيد النفي في المستقبل في بعض الايات ولكنها لا تتقيد بهذه الدلالة الزمنية وحدها بل تفيد المستقبل القريب والمتوسط والبعيد كذلك. ومن الايات التي جاءت فيها /لن/

1 - انظر الصاحبي 165 وانظر الجنى الداني في حروف المعاني 270-271.
2 - نفسه.
3 - مغني اللبيب لابن هشام 284/1.

لتأبيد النفي في المستقبل قوله تعالى : «قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده»(البقرة80/2).

سياق الآية يشير الى أنّ /لن/ ههنا أزلية في نفيها خلف العهد في حق الله عز وجل قال الرازي : «فلن يخلف الله عهده/ وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى منزه عن الكذب في وعده ووعيده.»(1) لأن الكذب صفة نقص والنقص على الله محال. وبذلك لا يمكن أن تنصرف /لن/ في الآية الى زمن غير الزمن الأزلي المطلق وقد وجد أبوحيان جدوى في القول «وفي قوله/ فلن يخلف الله عهده/ دليل على أنّ الله لا يخلف وعده»(2) وكأن ذلك في حاجة الى دليل، وقد يقال إنّ معنى تأبيد النفي مستمد من صفته سبحانه وتعالى وليس من معنى /لن/ ونحن نقول إنّ استعمال /لن/ لهذا المعنى في هذا المقام ودليل على أنها أولى من بقية أدوات النفي في الدلالة على المستقبل الأزلي.

وقد جاءت /لن/ لتأبيد النفي في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له»(الحج73/22) ولن يخلقوا دالة على التأبيد لأن منفيهما مستحيل الوقوع(3) يستحيل على هذه الآلهة المزعومة أن تخلق الذباب) يقول الزمخشري وهو يشرح هذه الاية «لن/أخت/لا/ في نفي المستقبل إلا أنها تنفيه نفيا مأكدا، وتأكيده ههنا الدلالة على أنّ خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال : محال أن يخلقوا ...إن هذا من أبلغ ما أنزل الله في تجهيل قريش واسترقاق عقولهم إذ يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأدله وأصغره»(4).

---

1 - التفسير الكبير للرازي 143/3.
2 - البحر 289/1.
3 - انظر دراسات لاسلوب القرآن الجزء الأول 633/2.
4 - الكشاف 22/3-23.

ومن دلالات /لن/ على التأبيد أيضا قوله تعالى : «وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قولك إلاّ من قد آمن»(هود 36/11).

إذ جاءت لتأبيد النفي في المستقبل، فقال الزمخشري : لن يؤمن اقناط من ايمانهم، وأنه كلمحال الذي لا تعلق به للتوقع إلاّ من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه(1)

ومنها كذلك قوله تعالى : «وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا»(الكهف57/18)

وقوله عز وجل : «قال إنك لن تستطيع معي صبرا»(الكهف67/18).

وقوله تعالى : «فذوقوا فلن يزيدكم إلاّ عذابا»(النبأ30/78)

ومنه قوله تعالى: «فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا»(التوبة83/9).

وقد رأينا أن /لن/ لا تكتفي بالدلالة على التأبيد فقد تفيد المستقبل المحدد بمدى زمني معين وغالبا ما يأتي هذا المعنى الزمني بفضل حتى التي تردد في التركيب /لن+يفعل/ من ذلك قوله تعالى : «وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»(البقرة55/2).

ويجب أن نلاحظ أنّ /لن/ وما بعدها جاءت في سياق الماضي الذي دلت عليه /قلتم/ ولذلك فان مداها الزمني ينطلق من الماضي الى المستقبل كما يجب أن ندرك أن حتى ههنا جاءت لتدل على غاية لا تتحقق إنما كانت دالة على غاية وزمن محدد ضمن حكاية لسان حالهم وزعمهم الآن، ومعنى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، لن نصدقك ولا نعترف بنبوتك حتى نرى الله جهرة أي

---

1 - نفسه 268/2.

عيانا(1). فحتى ههنا جاءت غائية بالنسبة للكفار ولكنها ليست كذلك بالنسبة للخارج لاستحالة رؤية الكفار لله جل شأنه ولذلك يمكن القول إن الدلالة الزمنية لـ/لن/ هنا اعتبارية نسبية ومن أوضح دلالات /لن/ على الزمن المحدد في القرآن قوله تعالى : «لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون»(آل عمران92/3).

إذ يفهم من الآية أنّ نيل البر يتوقف على انفاق المرء مما يحب في هذه الدنيا إذ معنى الآية عند المفسرين انكم وإن اتيتم بكل تلك الخيرات المذكورة في تلك الآية فإنكم لا تفوزون بفضل البر حتى تنفقوا مما تحبون(2).

يقول صاحب التفسير الكبير وهو يحلل معاني الآية : «إنّ الانسان لا يمكنه أن ينفق الدنيا في الدنيا الا اذا ابتغى سعادة الآخرة ولا يمكنه أن يفوز بسعادة الآخرة إلاّ إذا أقر بوجود الصانع العالم القادر وأقر بأنه يجب عليه الانقياد لتكاليفه وأوامره ونواهيه»(3). وبذلك يمكن اعتبار /لن تنالوا/ دالة على زمن محدد يطول ويقصر حسب الغاية المراد الوصول اليها.

ومن الآيات التي جاءت فيها /لن/ متبوعة بحتى دالة على الغاية قوله تعالى: «لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون»(المائدة22/5)

وقوله تعالى : «وقالوا لن نؤمن حتى نؤتي ما أوتي رسل الله»(الأنعام/124 6).

وقوله عز وجل : «فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي»(يوسف80/12).

---

1 - التفسير الكبير للرازي 83/3.
2 - التفسير الكبير للرازي 133/8-134.
3 - نفســـه.

ومنه قوله تعالى : «لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى»(طه/91 .20

وقوله تعالى : «ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه»(الاسراء/92 17)

لا النافية مع الصيغ الفعلية (لا+يفعل-لا+فعل)

إن كان ما بعد /لا/ النافية فعلا، صرفته للاستقبال في رأي كثير من النحاة في نحو (لا يخرج زيد) وتكون بمعنى /لم/ إذا دخلت على ماض نحو قوله تعالى : «فلا صدق ولا صلى»(1) (القيامة31/75) قال سيبويه «إذا قال هو يعمل ولم يكن الفعل واقعا فنفيه لا يفعل، وإذا قال ليفعلن فنفيه لا يفعل، كأنه قال : والله ليفعلن، فقلت : والله لا يفعل»(2)

يفهم من قول سيبويه كذلك أنّ /لا/ النافية للحدث خاصة بالاستقبال إذ جعلها نافية لأحداث في المستقبل غير أن ابن مالك وابن هاشم يجعلانها تفيد الحال كذلك قال في المغني : «رتخلص المضارع بها /لا/ للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولك : (جاء زيد لا يتكلم) مع الاتفاق على أنّ الجملة الحالية لا تتصدر بدليل استقبال(3).

ويبدو أنهما يصدران عن آراء سابقة لهما في هذا الموضوع منسوبة للمبرد والأخفش قال المرادي : «ونص الزمخشري ومعظم التأخرين على أنها تخلصه للاستقبال وهو ظاهر أنّ ذلك غير لازم، بل قد يكون المنفي بها للحال»(4).

---

1 - الصاحبي في فقه اللغة 165.

2 - الكتاب 117/3.

3 - مغني اللبيب لابن هشام 244/1.

4 - انظر الجني الداني للمرادي 296، وانظر أساليب النفي في القرآن امد ماهر البقر 19 والاتقان في علوم القرآن 171/1 ودراسات لاسلوب القرآن عبد الخالق عضيمة القسم الأول 545/2 وما بعدها

وقد جاءت /لا/ النافية للحدث في القرآن مؤيدة للرأين فجاءت دالة على الاستقبال في ايات كثيرة كما دلت على الحال في ايات كثيرة أخرى كما سنرى.

/لا/ النافية والدلالة على الاستقبال

من المواطن التي جاءت فيها /لا/ دالة على الاستقبال قوله تعالى على لسان سيدنا موسى : «قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا»(الكهف69/19).

ونستدل على معنى الاستقبال من /ستجدني/ الدالة على الاستقبال ومن أداة الشرط /إن/ كما نستدل عليه من سياق الاية نفسها فقد جاءت الآية في سياق وعد قطعه سيدنا موسى على نفسه مع العبد الصالح على أن يكون صابرا ولا يعصى له أمرا والوعد لا يكون إلاّ في المستقبل(1).

ومنها كذلك قوله تعالى : «واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينضرون وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»(البقرة123/2-124).

ف/لا تجزي/ و /لا يقبل/ و /لا تنفعهما/ كلها مركبات انصرفت للاستقبال بقضل القرينة الزمنية الواضحة في الآية وهو قوله تعالى (اتقوا يوما) إذ المقصود باليوم يوم القيامة.

قال الرازي وهو يشرح قوله تعالى : /واتقوا يوما/ في آية سابقة من البقرة(84) «اعلم أن اتقاء اليوم اتقاء لما يحصل في ذلك اليوم من العقاب والشدائد لأن نفس اليوم لا يتقي ولا من يرده أهل الجنة والنار جميعا(2) أما

---

1 - التفسير الكبير 152/22-153.

2 - التفسير الكبير للرازي 55/3.

قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) فإنا نفهم من شرح المفسرين أنّ /لا/ النافية وما بعدها للمستقبل القريب (الأقرب من زمن يوم القيامة) لأن معنى /ومن ذريتي/ عند المفسرين : «أنه تعالى أعلم سيدنا إبراهيم أن في ذريته أنبياء فأراد أن يعلم هل يكون ذلك في كلهم أو بعضهم وهل يصلح جميعهم لهذا الأمر فأعلمه الله أن منهم ظالما لا يصلح لذلك.»(1) وهكذا نفهم أنّ زمن /لا ينال عهدي/ زمن متوسط المدى سيأتي بعد عقود زمنية ومنه كذلك قوله تعالى : «وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون»(القصص41/28).

ف/لا/ نافية لحدث سيقع في مستقبل بعيد هو يوم القيامة ومثله قوله تعالى : «قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون»(سبأ/30 35) وقد اختلف النحاة والمفسرون في تفسير قوله تعالى : «واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة»(الأنفال25/8).

إذ يرى فريق منهم أن /لا/ ههنا ناهية «والأصل لا تتعرضوا للفتنة فتصيبكم، ثم عدل عن النهي عن التعرض الى النهي عن الاصابة لأن الاصابة مسببة عن التعرض وزسند هذا المسبب الى فاعله، وعلى هذا فالاصابة خاصة بالمعترضين»(2).

ويرى آخرون أنها هنا نافية وتكون جملة /لا تصيبن/صفة لـ/فتنة/ وعلى هذا التوجيه تكون الاصابة عامة للظالم وغيره ويكون التقدير/ اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن الذين ظلموا(3) ولقد توسع المفسرون في بسط الأوجه المختلفة لهذه الاية(4) مما يجعلنا ننتهي الى أنّ زمن لا تصيبن زمن استقبالي

1- نفسه 40/4.

2 - مغني اللبيب لابن هشام 246/1-247.

3 - نفسه.

4 - انظر الكشاف 152/2 وما بعدها والبحر المحيط 482/4 وما بعدها.

دلت عليه قرائن لفظية هي قوله تعالى : (واتقوا) فعل أمر للاستقبال وقوله تعالى (فتنة) قادمة فيما يستقبل من الزمان.

ومن الايات التي جاءت فيها الجملة المنفية صفة لزمن استقبالي(1) قوله تعالى : «واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده»(لقمان31/33).

/لا/ النافية والدلالة على الزمن العام

على الرغم من أن النحاة لم يلتفتوا الى هذه الدلالة الزمنية الخاصة لـ/لا/ النافية (الزمن العام) فإنها وردت في ايات كثيرة لا تصرف فيها الى زمن محدد، وإنما هي تدل على زمن عام يشمل كل الأزمنة من ذلك قوله تعالى : «في بيوت أذن الله أن ترفع يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»(النور24/36-37)

إذ لا يمكن أن ينصرف زمن /لا تلهيهم/ الى زمن محدد فقد جاءت الجملة المنفية صفة لؤلاء الرجال الذين يعمرون بيوت الله في كل زمان ومكان(2).

منها كذلك قوله تعالى : «أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون»(التوبة9/126).

وسياق الآية يوحي بأن فتنة المنافقين أصبحت ملازمة لهم تصيبهم في كل زمان ومع ذلك لا يتوبو، فزمن لا يتوبون ليس هو الماضي فقط ولا هو المستقبل فقط، وإنما هو زمن مطلق من الماضي الى المستقبل لأنهم فتنوا وسيفتون في كل عام قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهو يشرح هذه /الفتنة/ : يمتحنون بالعرض في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون من ذلك النفاق ولا

---

1 - نفسه 7/194.

2 - انظر الكشاف 3/68-69 والتفسير الكبير للرازي 24/4.

يتعضون بذلك المرض كما يتعظ بذلك المدمن إذا مرض فإنه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقعه بين يدي الله فيزيده ذلك إيمانا(1) وقد قيل : يفتنون بالغزو والجهاد فان تخلفوا أو قعدوا في السنة الناس باللعن والخزي والذكر القبيح. وإن ذهبوا الى الغزو مع كونهم كفار كانوا قد عرضوا أنفسهم للقتل والنهب من غير فوائد(2) وقيل غير ذلك... مما يبين أن السياق الذي أدرجت فيه جملة النفي (لايتوبون) يوحي بأنّه لا يخص زمنا معينا بالماضي أو بالمستقبل وإنما زمن ينسحب على المنافقين كلما فتنوا ولم يتوبوا.

وهناك ايات كثيرة جاءت فيها /لا/ النافية للمضارع دالة على الزمن العام من ذلك قوله تعالى : «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»(البقرة /12).

وقوله تعالى : «ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون»(البقرة13/2).

ومنه كذلك قوله عز وجل : «وقال الذين لا يعلمون لو يكلمنا الله أو تأتينا آية»(البقرة118).

وقوله عز وجل : «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم»(الاعراف27/7).

وقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون»(الصف2/61).

/لا/ فعل

لم ترد /لا/ النافية مع الفعل الماضي لفظا ومعنى الا في مرة واحدة في قوله تعالى : «فلا صدق ولا صلّى ولكن كذب وتولى»(3)لقد جاءت /صدق/ المنفية دالة على الماضي لفظا ومعنى، يقول ابن فارس : عن /لا/ النافية فـي

1- نفسه 16/232-233.

2 - نفسه 233.

3 - الصاحبي لابن فارس 165 وانظر الاتقان للسيوطي1/

هذه الآية : إنها جاءت بمعنى /لم/ أي أنها جاءت دالة على الماضي.

كما جاءت مع الفعل الماضي في أسلوب شرطي ودالة على زمن عام وذلك في قوله تعالى : «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء»(النحل35/16).

ما + فعل- ما + يفعل

كما هو معلوم أنّ /ما/ النافية تنفي الافعال كما تنفي الاسماء وتنفي الفعل المضارع كما تنفي الفعل الماضي. ويميل أغلب النحاة الى انها لنفي الحال أو لنفي الماضي القريب من الحال. قال الرضي «/ما/و/ليس/ كلاهما لنفي الحال عند النحاة وقال ويتعين المضارع للحال بالآن وبنفيه بليس وبـ/ما/ نحو/ ما يقوم زيد/.

أما في القرآن فجاءت بلفظ الماضي دالة على الماضي في آيات كثيرة كما جاءت بلفظ المضارع ودالة على الاستقبال في ايات كثيرة كذلك.

وقد اجتمع ذلك كله في آية واحدة وهي قوله تعالى : «وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون»(الشعراء210/26) كما جاءت دالة على الزمن العام في عدد من الايات على نحو ما سنرى فمن دلالات ما النافية على الماضي بلفظ الماضي قوله تعالى : «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك»(آل عمران191/3).

ولا جدال في أنّ /ما خلقت/ للمضي لفظا ومعنى لأنّ /هذا/ في الاية تشير الى السموات والأرض وقد خلقهما الله في زمن سحيق. ومن ذلك قوله تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما

جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشيرا ونذير»(المائدة19/5).

إذ نجد أن /ما جاءنا/ في الآية للماضي القريب والدليل على ذلك قوله تعالى : (فقد جاءكم بشير ونذير) إذ المراد بالبشير والنذير سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قال في التفسير الكبير : «بمعنا إنما بعثنا إليكم الرسول في وقت الفترة كراهة أن تقولوا ما جاءنا في هذا الوقت من بشير ولا نذير ثم قال تعالى : فقد جاءكم بشير ونذير فزالت هذه العلة وارتفع العذر»(1) .

وقد جاءت /ما/ النافية للماضي دالة على الزمن العام الذي يستوعب الأزمنة الماضية والأزمنة المستقبلية وذلك في قوله تعالى : «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون»(المائدة103/5).

ف/ما جعل الله/ على الرغم من أنها جاءت نافية لفعل ماض لفظا فإنها جاءت بمثابة الحكم العام الذي يشمل الأزمنة المختلفة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها. فقد شرح الرازي /ما جعل/ بما حكم الله بذلك ولا شرع ولا أمر به. قال : «اعلم أنه تعالى لما منع الناس من البحث عن أمور كلفوا بالبحث عنها في قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء...) كذلك منعهم عن التزام أمور ما كلفوا بالتزامها ولما كان الكفار يحرمون على أنفسهم الانتفاع بهذه الحيوانات... بين تعالى أن ذلك باطل فقال ما جعل الله.»(2).

وما يعنينا من هذا الشرح أنّ /ما جعل/ جاءت للتشريع، والتشريع صالح لكل زمان ومكان ومن هنا تستمد /ما جعل/ دلالتها الزمنية العامة.

ومن المواطن التي جاءت فيها ما النافية للماضي واقعة في سياق استقبالي قوله تعالى: «ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى

1 – التفسير الكبير 194/11.
2 – التفسير الكبير 109/12.

عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون»(الاعراف48/7).

فان ما أغنى جاءت لتدل على الماضي بالنسبة للمستقبل البعيد هو الدار الآخرة أي أنّ /ما/ في هذه الآية تنفي حدثا ماضيا ليس بالنسبة الى الحاضر الذي نعيشه وإنما هو ماض بالنسبة لما يستقبل من الزمان. أما أنّ الآية في سياق استقبالي فقد سبق أن بينا ذلك في مقام سابق(1).

كما جاءت /ما/ النافية للحدث بلفظ المضارع في ايات كثيرة منها قوله تعالى : «ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير ربكم»(البقرة105/2).

قال /ما يود/ تدل على ما يستقبل من الزمان بدليل قوله تعالى : (أن ينزل عليكم من خير ربكم.) ف/أن/ من الأدوات التي تصرف المضارع للاستقبال، وقد بين الرازي أنّ الكلام للاستقبال فقال : «المعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي»(2).

ومنها قوله تعالى : «قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين»(القصص27/18).

إذ لا جدال في أنّ /ما أريد/ يراد بها التعبير عن ما يستقبل من الزمان و /أن/ التي جاءت بعد الفعل تحيل الى المستقبل لأنّ الآية جاءت في سياق اتفاق بين النبيين في السنين الموالية لذلك الزمن(3).

1 - انظر الفصل الأول في الباب الثاني (فعل في القرآن).
2 - التفسير الكبير 225/3.
3 - نفسه 242/24.

ومن دلالات /ما/ النافية للفعل المضارع على الزمن العام قوله تعالى : «قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما»(الفرقان/77 25).

فان /ما يعبأ/ المسند الى اسم الجلالة لا تتحدد بزمان كسائر الافعال المسندة الي الله سبحانه وتعالى. قال أبوعبيدة وهو يشرح الاية ما أعبأبه، أي وجوده وعدمه عندي سواء، وقال الزجاج معناه لا وزن لكم عند ربكم والعبء في اللغة: الثقل وقال عمرو بن العلاء ما يبالي بكم ربي(1).

ومنها قوله تعالى : «ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدوني ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون»(الذاريات56/51).

إذ جاءت /ما أريد/ في الاية دالة على جميع الأزمنة لأن الفعل كذلك مسند الى ذاته تعالى.

أن النافية للفعل

إن النافية من الأدوات التي تدخل علي الاسم كما تدخل على الفعل(2) عندما تدخل على الفعل فان الفعل بعدها إما أن يبقى على دلالته اللفظية الزمنية، وإما أن تدرج في السياق فتتلون دلالته الزمنية بالاجواء التي يوحي بها النص شأنها في ذلك شأن /ما/ النافية.

من ذلك قوله تعالى : «الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده»(فاطر41/35).

حيث جاءت /ان/ هنا نافية للفعل دالة على الاستقبال فقد جاءت في سياق شرطي مصدر بـ/لئن/ ولئن تدخل غالبا على الممكن فان قدرنا دخولها على

1 - التفسير الكبير للرازي 116/24.
2 - انظر الاتقان 154/1 والصاحبي لابن فارس 131.

الممكن ذلك فاعتبار القيامة عند شيّ السماء ونسف الجبال أي ولئن جاء وقت زوالهما ويجوز أن يكون ذلك على سبيل الفرض، أي لئن فرضنا زوالهما فيكون مثل /لو/ في المعنى. (وقد قرئت الآية : لو زالتا ولذلك يقول أبو حيان : إن أمسكهما في الاية بمعنى المضارع أي أنها مصروفة الاستقبال يقول: (وانما هو في معنى المضارع لدخول إن الشرطية)(1).

وبذلك يمكن القول أنّ /إن/ وما دخلت عليه دل على المستقبل البعيد فكأنّ /ان/ جاءت بمعنى /لن/ الدالة على المستقبل البعيد أي لن يمسكهما من أحد. ومنها قوله تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناهم فيه) باعتبار أنّ /ان/ نافية ودالة على الماضي لأن الله سبحانه وتعالى لما أخبر بهلاك قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ولقد مكناهم. قال أبو حيان : «وكونها نافية هو الأوجه لأن القرآن يدل عليه في مواضع كثيرة كقوله كانوا أكثر منهم وأشد قوة(2).

ومن الايات التي جاءت فيها /ان/ نافية للفعل المضارع ودالة على الحاضر قوله تعالى : «قل ان أدري أقريب أم بعيد ما تدعون»(الأنبياء109/21).

وقوله عز وجل : «وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين»(الأنبياء/111 21)

ومن الآيات التي جاءت فيها /ان/ نافية للفعل المضارع دالة على الزمن العام قوله تعالى : «ان يدعون من دونه إلاّ إناثا وان يدعون إلاّ شيطانا مريدا».

حيث جاءت الجملة المنفية هنا بمثابة الصفة الملازمة للمشركين في كل زمان ومكان.

---

1 - البحر المحيط لأبي حيان 317/7.
2 - نفسه 65/7.

الصيغ الفعلية مع أدوات الاستفهام

يمكن القول إن أدوات الاستفهام الواقعة قبل الافعال لا توجه الدلالة الزمنية للفعل، وإنما هي تبثه حسب دلالته اللفظية ويكون علامة على أنه باق على دلالته الأصلية غير أن السياق له دوره في صبغ التركيب كله بألوان زمنية مختلفة فقد يكون التركيب دالا على الحال ولكنه واقع في سياق الماضي، وقد يكون دالا على الماضي ولكن السياق ينقله الى الاستقبال وهكذا.

- هل والاستفهام عن الفعل في القرآن الكريم

هي عند النحاة حرف استفهام موضوع لطلب التصديق الإيجابي وقد جعلها صاحب المغني تصرف المضارع للاستقبال غير أننا ونحن ندرس الزمن في القرآن وجدنا أنها أفادت أزمنة أخرى غير زمن الاستقبال(1).

مرة مع الماضي و14 مرة منها 59وقد وردت /هل/ مع الفعل في القرآن مرة مع المضارع. ومن المواضع التي جاءت فيها /هل/ دالة على الماضي45 قوله تعالى : «وهلأتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب»(ص21/38).

فقد جاءت /هل أتاك/ خبرا ماضيا محكيا عن سيدنا داود(2).

ومنها كذلك قوله تعالى : «وهل آتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما»(الذاريات24/51).

حيث نجد أن /هل/ دخلت على ماض لفظا ومعنى وهو /أتاك/ وهو ماض لأن كل الملابسات والقرائن تؤكد ذلك فقد جاءت في سياق قصصي إخباري وجاءت بعدها /إذا/ الدالة على الماضي، وقد قال المفسرون : إن /هل/ جاءت

---

1 - انظر مغني اللبيب 249/2-250، والاتقان في علوم القرآن 178/1 والجني الداني في حروف المعاني للمرادي 341-342.

2 - انظر الكشاف 366/93.

للتشويق والاستماع الى ما بعدها من قصة وخبر(1).

ومن بقية الايات التي جاءت فيها /هل/ تتصدر الفعل الماضي قوله تعالى: «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا -فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم»(الاعراف44/7).

غير أنّ /هل/ في هذه الآية وإن دخلت على الماضي ودلت عليه، فرنها جاءت في سياق ماض خاص، هو ماضي المستقبل لأنّ الآية تصور ما يجري في الدار الآخرة (في المستقبل البعيد).

ومن الايات التي جاء فيها الفعل المضارع يتلو /هل/ قوله تعالى : «قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا»(الكهف/1039 18)

وقوله عز وجل : «قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه»(المائدة60/5).

حيث جاءت /هل أنبئكم/ في الآيتين للحاضر أو المستقبل القريب من الحاضر باعتبار أن المتنبأ عنه يأتي مباشرة بعد حملة الاستفهام وهو قوله تعالى (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) في الاية الأولى (من لعنه الله وغضب عليه) في الآية الثانية. وقد جاء الفعل المضارع بعدها دالا على الزمن العام لأنه جاء في سياق مثل ضربه الله لصنف من الرجال يوجدون في كل زمان وفي كل مكان وذلك قوله تعالى : «وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأبى هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو علـــى

1 - انظر إعراب ثلاثين سورة في القرآن الكريم لابن خالوية 64.

صراط مستقيم»(النحل16/75-76).

ف /هل يستوون/ في الآية و /هل يستوي/ في الاية الثانية لا يمكن أن تتحدد بزمن معين لأن الحدث الذي يدل عليه يمتد امتداد الانسان في عمق الزمان...

هل بمعنى قد

يرى بعض النحاة والمفسرين أنّ /هل/ تأتي بمعنى /قد/(1) وذلك في قوله تعالى : «هل أتاك حديث الغاشية»(الغاشية1/88).

وعلى أية حال فان زمن الفعل لا يتغير بعد /هل/ سواء كانت بمعنى /قد/ أم كانت استفهامية. إذ يبقى الفعل /أتاك/ على مضيه.

همزة الاستفهام وزمن الفعل

همزة الاستفهام حرف مشترك يدخل على الاسماء والافعال لطلب التصديق أو التصور. وسنحاول أن نتتبع معانيها الزمنية وهي داخلة على الصيغ الفعلية في جملة من الآيات القرآنية. ومن معانيها التي اطردت في القرآن الكريم ما يسميه النحاة بهمزة التسوية وما يترتب على الجملة بعدها من آثار زمنية.

من ذلك قوله تعالى : «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذهم لا يؤمنون»(البقرة/6 2).

---

1 - قال أبو حيان في البحر 393/8 «هل حرف استفهام فان دخلت على الجملة الاسمية لم يكن تأويله بقد لأن قد من خواص الأفعال، فإن دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض. وقال القرطبي وهو يشرح /هل أتاك/ هي بمعنى /قد/ قاله قطرب(الجامع24/20) أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم. ويقول الرضي : /هل/زصلها/قد/ وجاءت على الأصل. انظر شرح الكافية 388/2.

إذ يحتمل معناها الزمني عند بعض النحاة المضي والاستقبال. إذ هي بمعنى سواء عليهم الانذار وعدمه «فلا فرق بين ذلك، وبين أن يقال سواء أأنذرت أم تركت الانذار»(1) يقول ابن القيم «إذا اقترن الفعل بعد أم بـ/لم/ فلن يتعين الفعل الماضي»(2) وتصبح دلالتها الزمنية عامة كدلالة المصدر على الزمن العام.

ونفهم من شرح الزمخشري للآية أن معنى الاستفهام قد انسلخت عنه الهمزة واستحالت الى معنى الشرط الدال علي الزمن العام(3).

«وإنما أفادت الهمزة فائدة /إن/ الشرطية لأن كلمة /إن/ تستعمل في الأغلب في أمر مفروض مجهول الوقوع وكذلك حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتيقن حصوله»(4).

وقد جاءت الهمزة تتصدر الفعل الواقع في سياق ماض وذلك في قوله تعالى: «أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم»(طه/86 20).

ومنها قوله تعالى : «أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاؤتين مالا وولدا اطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا»(مريم78/19).

كما جاءت همزة الاستفهام متلوة بـ /لم/ النافية للفعل المضارع فإذا هي تفيد التقرير في الماضي وذلك في مثل قوله تعالى : «ألم نشرح لك صدرك»(الانشراح1/94).

---

1 – انظر بدائع الفوائد 51/1 وما بعدها، ونتائج الفكر للسهيلي 70، وانظر الفصلين الذين خصصناهما لزمن الفعل عند النحاة وعند الفقهاء.

2 - بدائع الفوائد 51/1.

3 - الكشاف 153/1.

4 - هامش الكشاف 153/1.

ومثل قوله تعالى : «ألم نجعل الأرض مهادا»(النبأ69/78).

وقد تأتي مع الفعل /رأيت/ ويرى المفسرون أن أرأيت تأتي مناسبة للوجدان الثائر والانفعال المحتدم وأنها تأتي بمعنى التنبيه والتعجب، لأن الهمزة إذا دخلت على رأيت امتنع أيكون من رؤية البصر والقلب(1) أي أنها تأتي بمعنى فعل أمر فتصبح دالة علي الاستقبال ونحن نرى أنها من قبيل الأفعال الانشائية التي لا زمن لها في الخارج وأنّ زمنها هو زمن التلفظ بها وقد قال بمثل ذلك الرضي عندما بين أنها لا تكون إلاّ للاستخبار عن حال عجيبة»(2) كما ذهب آخرون الى أنّ كل استفهام دخل على الرؤية فهو للتعجب ومن أمثلة /أرأيت/ الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى : «قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا»(الإسراء62/17).

ومنه قوله تعالى : «أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه»(الواقعة58/56-59)

كما وجد أن همزة الاستفهام إذا تلتها /لن/ الدالة علي الاستقبال فان الجملة المنفية بعدها تبقى على دلالتها الاستقبالية وذلك في مثل قوله تعالى : «إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين»(آل عمران124/3).

من الاستفهامية المتصدرة للفعل

هي من أكثر الأدوات ورودا قبل الفعل، فقد جاءت في القرآن 103 مرات منها 15 مرة وليها فعل ماض، ومرة وليها المضارع(3) وقد وردت /من/ في أساليب مختلفة كالتقرير، والانكار وغيرها من الأساليب البلاغية لكن دلالتها

1 - انظر البحر 166/5 والاتقان 146/1 وانظر أساليب الاستفهام في القرآن 32 وما بعدها.
2 - شرح الرضي على الكافية 282/1 وأساليب الاستفهام في القرآن 34.
3 - مغني اللبيب لابن هشام 327/1 والاتقان للسيوطي 177/1 انظر أساليب الاستفهام في القرآن 113 وما بعده.

الزمنية تعددت حسب تلك الاساليب والسياقات التي وردت فيها حيث نجد أنها لازمت الدلالة علي الماضي مع صيغة /فعل/بعد الفعل /سأل/ وذلك في قوله تعالى : «ولئن سألتم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله»(العنكبوت61/29).

ومنه كذلك قوله تعالى : «قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين»(الأنبياء59/21) حيث جاءت من فعل للدلالة على الماضي إذ هي واقعة في أسلوب سردي قصصي دل عليه سياق الآيات التي قبل هذه والتي بعدها (انظر الآيات85/60-61-62).

وقد تتصدر الفعل المضارع فتدل على الزمن العام أو الزمن الأزلي إذ غالبا ما تكون هذه الأفعال المضارعة مسندة الى الله سبحانه وتعالى. وكل الأفعال التي تسند اليه تعالى لاتتقيد بزمان ما لم يدل على ذلك دليل كخلق السموات والأرض الى غير ذلك فمن الايات التي جاءت فيها /من يفعل/ دالة على الزمن العام قوله تعالى : «قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله»(يونس31/10).

وقد جاء الفعل بعدها دالا على الاستقبال من ذلك قوله تعالى : «فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا»(النساء09/4).

وقوله تعالى : «فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا»(غافر29/40).

ما الاستفهامية

جاءت في القرآن غالبا للدلالة على الاستفهام الحقيقي ووردت قبل الفعل الماضي 58 مرة والمضارع 48 مرة(1) وقد تعددت دلالتها الزمنية مع الافعال

1 – انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 175/1.

حسب الصيغة التي تليها فجاءت مع صيغة /فعل/ دالة على الماضي لفظا ،معنى كما جاءت مع /يفعل/ دالة علي الحاضر والمستقبل وهي الدلالة الأصلية لصيغة /يفعل/ فمن الايات التي جاءت فيها ما "فعل" دالة على الماضي لفظا ومعنى قوله تعالى : «قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي»(ص75/38).

منها كذلك قوله تعالى : «قال يا هارون ما منعك إذ رأيتم ضلوا»(طه92/20 ومنه قوله تعالى : «يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم»

وقد جاءت /من فعل/ دالة على الماضي ولكن في سياق استقبالي فهي من قلبيل التراكيب الدالة على ما سميناه بماضي المستقبل وذلك في مثل قوله تعالى «ويم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين»(القصص65/28).

إذ ليس يخفى أنّ /يناديهم/ في الآية دالة على زمن استقبالي بعيد هو زمن يوم القيامة.

وعندما تسبق /من يفعل/الفعل المضارع فانها تأتي إما للدلالة على الحاضر كما في قوله تعالى : «يا أيها النبي لم تحرم ما أحلّ الله لك» (التحريم /1 66).

وقوله : «يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر»(مريم42/19).

وأما للدلالة على الاستقبال كقوله تعالى : «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي»(البقرة133/2).

وقد لاحظنا ونحن ندرس بقية أدوات الاستفهام أنها في الغالب تدل علي الحاضر والاستقبال مع الفعل المضارع /يفعل/ وعلى الماضي مع /فعل/ من ذلك دلالة **/أين/** مع الفعل المضارع علي الحاضر في قوله تعالى : «وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون»(التكوير26/81).

وجاءت **/أيان/** مع الفعل المضارع دالة على الاستقبال وذلك في قوله تعالى «قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلاّ الله وما يشعرون أيان يبعثون»(النحل65/27)..

أما كيف فقد جاءت مع الفعل المضارع كما جاءت مع الماضي فدلت مع الحاضر على الحاضر ودلت مع الماضي على الماضي. من ذلك قوله تعالى : «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء»(آل عمران6/3).

وقوله : «اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون»(الصافات-154 153/37). حيث دلت **/كيف** يشاء/ و**/كيف** تحكمون/ على الحاضر.

وقد ولي /كيف/ الفعل "كان" فدلت على الماضي لفظا ومضى وذلك في قوله تعالى : «ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتم فكيف كان عقابي»(الرعد32/13).

وجاءت /كم/ الاستفهامية للدلالة على الماضي مع الفعل /لبث/ في ثلاث آيات وذلك في قوله تعالى : «قال كم لبثت قال لبث يوما أويعض يوم»(البقرة259/2).

«قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم»(الكهف19/18).

«قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم».

أما /أنى/ الاستفهامية فقد وليها الفعل المضارع فدلت على الحاضر لأنها يراد بها إنكار حال الفعل بعدها من ذلك قوله تعالى : «إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى توفكون»(الانعام95/6).

ومنه قوله تعالى : «ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنّى

تصرفون»(الزمر6/10).

«سيقولون لله فأنى تسحرون»(والمؤمنون89/22).

أما /أين/ فقد وردت مع الفعل المضارع في مرة واحدة في القرآن للدلالة على الحاضر وذلك في قوله تعالى : «وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون»)التكوير26/81).

أي أنّ جملة /"أين تذهبون" جاءت للاستفهام عن فعل مضارع دال على الحال. ولا يفوتنا في خاتمة هذا الفصل أن نؤكد ما قلناه في مقدمتة، من أنّ أدوات النفي والاستفهام تتحدد معانيها حسب دلالتها الذاتية وقليلا ما يصرفها السياق عن هذه الدلالة الأصلية وكأن معانيها الزمنية في القرآن جاءت مطابقة لدلالتها الوضعية ومن أجل ذلك لم نر جدوى من وضع الجداول الخاصة بدلالات الأداة واكتفينا بما أشرنا اليه في ثنايا هذا الفصل من وجود دلالات سياقية خاصة لهذه الأدوات.